أهمية المكان في النص الروائي

م. مكي محمد حسون

جامعة القادسية/ كلية التقانات الإحيائية

الملخص

يعد المكان من أهم العناصر التي تشكل جماليات النص الروائي، فهو من أبرز المحاور الروائية المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب، وتحليل شخصياته النفسية، فصلة الانسان بالمكان صلة ذات أبعاد عميقة، وعلاقته به علاقة جدلية مصرية، إذ ما من حركة في هذا الكون إلا واقترنت بمكان ما، فهو جزء لا يتجزأ من كل الموجودات، يحتاج إليه الإنسان كي يعيش فيه، ويضمن سكونه واستقراره، وتعد الرواية خير مثال للمكان بكل تجلياته ومظاهره، فالروية والمكان مرتبطان ببعظهما أشد ارتباط فهي تحتاج إليه لتؤسس من خلاله بناء عالمها ليكون مسرحا" لأحداثها وشخصياتها، وبالمقابل لا يكتمل ظهور المكان إلا في الرواية التي تساعد على الكشف عن دلالاته ووظائفه ومستوياته ورصد أنماطه، وسنسلط الضوء على المكان بشكل خاص، فلقد استطاع الكاتب عبر لغته الفنية الراقية أن يجعل القارئ يفتتن بجمالية الأمكنة، إلى حد يجعله يشارك مع المبدع في إحساسه بالمكان، فيبح المكان حاضرا" في ذهن القارئ سواء أكانت هذه التقنية الجمالية مكانا" ساميا" مقدسا" أم مكانا" مدنسا"، فالمهم في الأمر أن المبدع يستطيع تصوير ما يريده بوعي فني جمالي متميز.

Abstract

The place is one of the most important elements of the beauty of the text, as it generates emotional shipments, highlighting its association with the characters and the rest of the narrative narrative elements, and the place contributes to drawing the dimensions of the characters, reversing their reality, changing their behaviors and changing their character, and the presence of an intimate relationship between the description and the place, as the description has determined The landmarks of the place, as it contributed to the approximation of the image to the readers and what highlights its realism and credibility as possible in the novel, a technique used by the writer to highlight the aesthetics of the place. The presence of the human being in the place led to reinforcing the relationship between them, that relationship that has taken on a growing search has become the place and one of the issues that the person respects in the research in order to go deep into it, and the Germans in the novel received the attention of many scholars, the importance of the place in the text

المقدمة :

أن المكان من أهم العناصر المشكلة للجمال النص لما يولده من شحنات عاطفية تبرز ارتباطه بالشخصيات وبقية عناصر السرد الروائي، ويسهم المكان في رسم أبعاد الشخصيات ويعكس حقيقتها وتغير سلوكياتها وشرح طباعها، ووجود علاقة حميمة بين الوصف والمكان إذ أن الوصف يقوم بتحديد معالم المكان كما أنه يسهم في تقريب الصورة للقارئ وما يبرز من واقعية ومصداقية للمكان في الراوية، وهي تقنية يلجأ لها الكاتب لإبراز جماليات المكان.

وأن هناك علاقة بين الإنسان والمكان وهي علاقة تعضيد بينهما تلك العلاقة التي أخذت بالتنامي حتى أصبح المكان واحدا" من القضايا التي يحترمها الانسان بالبث بغية التعمق بها، وقد حظية المكان في الراوية باهتمام الكثير من الدارسين لأن المكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها الأحداث الروائية، فهو عنصر غالب في الرواية وحامل لدلاتها ويمثل محورا" أساسيا" من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية .

-المكان في الرواية :

يعد المكان عنصرا" أساسيا" في بناء الرواية وإن اختلفت طريقة تشكليه وعرضه من روائي إلى آخر ومن منهج إلى منهج أخر، وعلى الراوي أن يوليه الدقة نفسها التي يستعملها عند تشكليه لعنصري الزمان والشخصية في الرواية، وتظل اللغو أساس المكان الروائي وباقي عناصر الرواية التي تشكل عنصرا" خياليا" ولفظيا" بصفة مجموعة من الصور شغلت مخيلة الراوي فينقلها إلى القارئ عبر اللغة القادرة على الإيحاء والخلق (فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا" خياليا" له مقدماته الخاصة وأبعاده المتميزة "[١]

يمثل المكان مكونا" محورا" في بنية السرد بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون المكان، فلا وجود للأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين .

ويعرف" لوتمان" المكان بقوله: " هو مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر، أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة تقوم بينها علاقات شبيه بالعلاقات المكانية المألوفة/ العادية مثل الاتصال، المسافة"[٢]

أصبح المكان يمثل هوية من هويات الخطاب الروائي، يودي المكان دورا" مهما" ووظيفيا" في تكوين حياة الانسان وترسيخ كيانه وتثبيت هويته وتأطير طبائعه، ومن ثم تحديد اولوياته وتوجهاته وادراكه للأشياء ، وذلك لأن المكان" يدرك إدراكا" حسيا" يبدأ بخبرة الانسان في جسده وهذا الجسد هو المكان أو بعبارة أخرى القوى النفسية والعقلية والعاطفة والحيوية للكائن الحي"[٣]

وللمكان قدرة تأثيره كبيرة على الشخصية من الناحية البالوجية ، كما يتعدى تأثيره إلى طبيعة اللغة واللهجات التي يستعملها وإلى اختلاف سلوكها وطباعها.

وأهمية المكان لا يمكن أن نحصرها في مكان دون أخر، وذلك أن دور الأمكنة يتداخل فيما بينها والاندماج بينها وتتحطم محدوديته وتكشف عن أمكنة جديدة متخيلة تماثل الأمكنة الحقيقية وذلك بتتابعها إلى ذهن القارئ لتقنعه بحقيقة وجودها [٤]

وعليه فإن الأماكن مهما صغرت أو كبرت أو مهما اتسعت أو ضاقت أو مهما قلت أو كثرت تظل في الرواية الجيدة مجموعة من المفاتيح الصغيرة التي تساعد على فك جو كبير من مغاليق النص [٥]

كيف ولا وأن المكان في الرواية يعد مسرحا" للأحداث والشخصية، إذ كلما أجيد بناؤه أدت مكوناته الروائية دورها بشكل أفضل وبذلك يتحول" المكان من مجرد إطار أو أرضية إلى عنصر مشارك في العمل الأدبي و إلى واحد من أبطاله بل أنه قد يصبح البطل الأول أو الأساس [٦]

وللمكان جماليات حين يتحول إلى حياة لها أنشطتها أو فعاليتها ووظائفها المتنوعة.

يمثل المكان في الرواية عنصرا" مهما" من عناصر السرد الروائي، لأن المكان في كل أبعاده الواقعية والمتخلية يرتبط ارتباطا" وثيقا" بالنص وبكل ما يحتويه من شخصيات وأزمنة وحوادث، بما أن المكان عنصر يتميز بخصوصيته وبوظائفه المتعددة التي تتحكم في إطار تكوين الحدث كما أنها تساعد القارئ على التخيل وتصور الأمكنة التي يعرضها الروائي سواء كانت أمكنة مغلقة ام أمكنة مفتوحة أم أمكنة ذات أبعاد سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم فلسفية [٧]

فوظيفة المكان هي وظيفة جمالية دلالية ذات بعد رامي في صنع الإبداع الفني، إن المكان" ليس عنصر زائد في الرواية، فهو يتخذ أشكالا" ويتضمن معاني جديدة بل أنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"[٨]

أذن يمكننا القول أن المكان هو نقطة أن طلاق الكاتب وهو المكون الأساس لبنية النص ككل بهذا يصبح المكان عنصرا" فاعلا" في الرواية وفي تطورها وبنائها وفي طبيعة الشخصيات التي تتفاعل معه وفي علاقات بعضها بالبعض الآخر .

فهو البنية الأساسية لتشكيل الحدث الروائي" لا يقدم سوى مصحوب بجميع احداثياته المكانية والزمانية، من دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدي رسالته الحكائية "[٩]

أصبح المكان العمود الفقري التي تبنى على أساسه الأجناس الأدبية من قصة وشعر ورواية، ومن دون المكان يفتقد العمل الأدبي لتلك الخصوصية والأصالة لأن "المكان يأسر الخيال ولا يمكن أن يبقى مكانا" لا مباليا" خاضعا" لأبعاد هندسية فحسب، بل هو مكان عاش فيه الناس ليس بطريقة موضوعية وإنما ما للخيال من تحيزات "[١٠]

"فسيزا قاسم" يلفتنا إلى الدور المهم الذي يؤدية الخيال الذي يفتح فكر المبدع و حتى القارئ لتخيل الأمكنة والإيهام بها كأنها حقيقية، فالخيال هو الذي ينقلنا إلى تلك الأمكنة المتنوعة العوالم بوساطة اللغة التي يعتمدها الكاتب المبدع في وصف أحيازه أو فضاءاته، فهو أوسع من أن يكون لا مكانا" هندسيا" تحكمه لغة القياس والأحجام، بل هو مكان يخضع لرؤية خاصة تتفاعل مع الانساق والسياقات التاريخية والنفسية والاجتماعية [١١]

السارد يخلق شخصياته بلغته الخاصة وخياله فيأتي المكان كفضاء محمل بالدلالات الواقعية والمتخيلة التي عبرها يشترك القارئ ويجعله يعيش التجربة المكانية الروائية .

وظف الروائيون معنى المكان في الكتابات الإبداعية لانة يعد" المكان الممسوك بالخيال والذي يسكن الانسان ويظهر على شكل حفريات تظهر على الشخصية في تعريفاتها وسلوكها ونمط حياتها.. فالمكان يمثل القلب النابض في الرواية "[١٢]

وبذلك يتحول المكان من مجرد فضاء إلى تجربة جمالية إبداعية يصور لها المبدع بخياله أو بواقعيته ليجعل منه مركزا" للاستقطاب الجميع "لأنه يمثل النواة في الجميع الأمكنة المكونة له والمحيطة به "[١٣]

يبقى للمكان حضور مميز في النص الروائي لأننا نفهم من خلاله سلوك الفرد وموقعه الانفعالي الذي يعبر عن الحالات الانفعالية للمكان، ليكون حصيلة للتفاعل بيت إشارته المدركة في المجتمع و النفاذ إلى عمق التجربة المكانية .

-استراتيجية بناء المكان :

نظرا" لقيمته المكانية داخل النص السردي، فإنه يقوم على ستراتجية يتحكم بها الكاتب عبر اعتماده على الوصف "فاعلية الوصف تتمثل في تسليط الضياء على موقف ما أو حدث ما حين تتجسد غاية السرد في تسليط بعض هذا الضياء "[١٤]

وهذه ليست نظرة حديثة للوصف لأن عنصر الوصف أرتبط منذ القدم بمفهوم المحاكاة ومحاكاة الطبيعة وتصويرها كما هي في العالم الخارجي ..

ولكن أصحاب النظرية الحديثة ، تطورت هذه النظرة التي عدها المحدثون بالنظرة التقليدية التي أقصت عنصر الشخصية لأن ارتباط الوصف بالسرد دليل على أفعال وحركة الشخصية داخل الرواية لأن "تقدم السرد دونما وصف قد يخل بالعمل في النص الروائي خاصة إذا كان مستعجلا""[١٥]

ويأتي هنا دور الكاتب في انتقاء وإبراز عمله بالسعي إلى اختيار بعض الوقائع التي عاشها في مجتمعه ثم يجسدها ببراعته الخاصة في الرواية، فالكتابة الروائية ككل مبنية على استراتيجية مدروسة من كاتب النص، خاصة في اختياره من عالم واقعي إلى عالم خيالي لا مرئي [١٦]

عالم تنشأ فيه الذكريات وتحيا على أرض الواقع ويجمع كل الأمكنة والأزمنة والشخصيات لتكتمل بذلك صورة المكان، وتبرز أهمية المكان عبرالوصف .

-أقسام المكان :

يضيف المكان صور وأوصاف يصبح عبرها الفضاء أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة، فالفضاء الروائي يتخذ وضعية جيدة داخل السرد وبفضل الدلالة الممزوجة التي يتوفر عليها، فهو يعرض في النص عن طريق تصويره وتعينه[١٧]

وتقديم المكان عن طريق الوصف يساعد على "تشكيل الصورة المتكاملة للفضاء الروائي وتعطيه انسجامه وأسباب بناءه "[١٨]

وصف الكاتب للفضاء يساهم في تبين قدرته على تحريك عناصره وفق استراتيجية المبدع وتنوع الأوصاف من رواية إلى أخرى .

ويلتحم المكان بالوصف لينتج عنه السرد، الذي يطالعنا بجزئيات المكان من خلال علاقته بإنجاز الفعل وهذا ما يسمى "بالصورة السردية وهي الصورة التي تعرض الأشياء المتحركة، أما الصورة الوصفية فهي التي تعرض الأشياء في سكونتيها "[١٩]

هكذا يسهم الوصف في بناء المكان الروائي، إذ يقدم الوصف صورة تجعل القارئ يبرز محتويات المكان فتظهر أهميته في تقديم المكان وعلاقته بالعناصر الأخرى التي تجعل أجزاء النص تتلاحم في وحدة بنائية متماسكة .

قسم "غالب هلسا" المكان على أربعة أنماط :

-المكان المجازي : ونجده في رواية الأحداث والتشويق

-المكان الهندسي: هو المكان الذي يعرض الرواية بأبعادها الخارجية

-المكان ذو التجربة المعاشة: وهو المكان الذي عاش فيه الروائي، بعد أن ابتعد عنه وأخذ يعشه في الخيال

-المكان المعادي: كالسجن والمنفى والطبيعة الخالية من البشر

المكان حسب "غالب هلسا" أربعة أنماط: مكان افتراضي غير موجود في الحقيقة، ومكان هندسي جغرافي يقوم الراوي بوصفه بكل تفاصيله، ومكان كتجربة معاشه ، والمكان المعادي الذي نشعر فيه بالخوف والتوتر والاضطراب.

في حين اعتمد "غاستون باشلار"، في كتابه جماليات المكان، على مبدأ التعاقب إذ يميز بين أمكنة الألفة والأمكنة المعادية، أمكنة الألفة وهي الأمكنة التي نحب ونرغب فيها وبالمقابل فإن المكان المعادي هو مكان صراع [٢٠]

وقد افاد" حسن صحراوي" من ثنائيات المكان إذ يميز بين أمكنة الانتقال وأمكنة الإقامة "أما أمكنة الانتقال فتكون مسرحا" لحركة الشخصيات وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة مثل الشارع والأحياء والمحطات وأماكن اللقاء خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي "[٢١]

وتقاطعات أخرى بين أماكن الإقامة الراقية والشعبية القديمة والجديدة الضيقة .

١.المكان المجازي: فهو مكان غير واقعي ، يحيل إلى مكان غير حقيقي إنما هو خيالي، وهو بمثابة مكان تجري فيه الأحداث مثل الأشجار التي تعترض طريق البطل وتخفي الهارب، وقد يكون هذا المكان وصفا" لحالة أحدى الشخصيات مثل الفقر والغنى والتباهي، وحتى الروائح في مثل هذا المكان هي دلالات مديح أو هجاء [٢٢]
ومن الأمكنة التي تعبر عن ذلك كما في هذا المثال: "حتى دخلا المزرعة وغطتها أشجار السرو الواقعة في صفين طويلين كجنود يشاركون في استعراض.. ثم ما فتأت السيارة تخرج إلى جدائل الشمس فتنعكس على صفحتها متلألئة "[٢٣]
٢.المكان الهندسي:
يظهر لنا هذا النوع من الأماكن أثناء وصف الروائي للأمكنة الواردة في الرواية إذ تصبح حدود الجغرافية واضحة بدقة وتفصيل، وبذلك يتحول إلى تفاصيل وجزئيات يمكن مشاهدتها "كلما زدنا في إتقان المكان الهندسي كلما حرمنا القارئ من استعمال خياله وحرمناه من الأماكن التي عاش فيها "[٢٤]
ويؤكد "غاستون" "أن المكان الفني ليس المقياس التابع لمعيار هندسي، وإنما الذي يعنيه المكان الذي يعيش فيه الانسان وأسقط عليه الخيال ليكونا ذكرى محببه إليه، ويعرف طريقه في أي وقت يعود إليه "[٢٥]
أي مكان أخر ذاتيته)[٢٦]
فهذا النوع الذي تعيش فيه الشخصية ثم تنتقل وتتركه، فتحن إليه وتظل صورته مرسومة بخياله نتيجة الفرقة التي حصلت بينهما. ويقول" باشلار":"أن المكان لا يعاش على شكل

صور فحسب بل يتمثل داخل الجهاز العصبي في مجموعة ردود الفعل لو عدنا إليه حتى في الظلام سوف نعرف طريقنا إلى داخله ومثل هذا المكان يبلغ حدا" من القوة يجعل القارئ يتوقف عن القراءة ليستعيد ذكرى مكانه الخاص "[٢٧]

فهو أكثر الأماكن تخليدا" في ذاكرة الانسان ويؤثر في حياته دون أي مكان أخر لأنه لم يعد مجرد مكان بل تجاوز الكثير ليجعل من الذاكرة إطرا" تحفظه من الزوال. ومثال على ذلك" الصمت الرهيب من حولها يزيد من شراسة الأشباح التي كانت تتراقص على مخيلتها.. لقد فعلت في هذا البيت الجديد كل ما كان يعشوشب فيها من ذكريات جميلة .. ذكريات الطفولة .. الحب الأول"[٢٨]

٤.المكان المعادي :

فهو نوع من الأحاسيس المؤلمة والسيئة التي عاشتها الشخصية، يدور حول الأماكن القابضة على حرية الانسان والمتصفة بالقسوة والتسلط والعنف متمثلة خاصة في: السجن، الطبيعة الخالية من البشر، مكان الغربة، المنفى، وما شابه ذلك [٢٩] والتي تحمل دلالة الخوف والرهبة مما يؤدي بالشخصية إلى الهروب منها لأنها تفقد دورها وسيطرتها فيه.

قدم "غالب هلسا" صفات هذا المكان بقوله: "المكان الهندسي المعبر عن الهزيمة واليأس الذي يتخذ صفة المجتمع الأبوي بهزيمة السلطة في داخله وعنفه الموجه لكل من يخالفه التعليمات وتعسفه الذي يبدو وكأنه طابع قدري ومثاله السجون وأمكنة الغربة والمنافي وغيرها "[٣٠]

فهذا النوع من الأماكن يتضح من عنوانه فهو عنفوي قابض على حرية الانسان ويحتل مرتبة في المجتمع المتحكم والمتسلط الظالم.

ومثال على ذلك :"أما نوارة كانت ترنو إلى أسوار ذلك السجن وقد تعالت وتعالت فوقها الأسلاك الشائكة.. كيف يستطيع إنسان أن يسلب حرية إنسان آخر لمجرد الشبهة "[٣١]

-أبعاد المكان :

يعد المكان عنصرا" أساسيا" وبنائيا" فهو يحمل أهمية كبيرة في العمل الروائي خصوصا" والأدبي عموما:، لأنه المحرك الأساس للأحداث وتطورها ورسم أبعادها ، إذ نجد تفاوت بين الباحثين والنقاد في تحديد أبعاد المكان الروائي.

"صلاح صالح" إذ يقدم البعد الواقعي فإنه يقصد به المكان لان موجود في الواقع لا وجود له في الفن إذ بمجرد نقله من الواقع إلى الورق فقد تحول إلى مكان متخيل، فالمهم بالنسبة للناقد والروائي كيف وضعت الأمكنة على الورق وكينونتها الفنية، وليس الواقعية، إن البعد الموضوعي للمكان الروائي إذ يتجلى في المحاولة المستمرة من الخيال المصنوع من الكلمات إلى الواقع المصنوع من الطبيعة وعناصرها المادية[٣٢]

عن طريق ١.البعد الواقعي: يقول" بيتور":" ليس المكان الطبيعي وإنما النص الروائي الذي يخلق الكلمات مكانا" خاليا""[٣٣]

ويذهب" روب غريية" إلى أن "الرواية الجديدة لا تدعي فقط أنها لا تطمح إلى واقع آخر غير واقع القراءة أو المشاهدة، وإنما تبدو ايضا" محتجة على نفسها وتزداد شكا" في المكان"[٣٤]

إن الكاتب يقوم بنقل القضايا الحقيقية إلى عالم الرواية الفني ، ومثال على ذلك ما ورد في رواية" الرماد الذي غسل الماء"،" تتشكل عين الرماد من جملة من الأحياء الفقيرة المتزاحمة التي يصعب عليك في كثير من الأحيان الفصل بينها، تبدأ أسفل المدينة عند اتساع الوادي"[٣٥]

٢.البعد النفسي :

إن للمكان أبعادا" نفسية تؤثر في الذات البشرية سلبا" وإيجابا"، فهناك من الكتاب من يتخذ من المكان ملاذ للحرية والدفء والذكريات، واعشاش الطفولة البريئة فيحمل "أولى الأمكنة التي تدشن قيم الألفة لدى الكائن الإنساني"(٣٦)

فحضور المكان في العمل الروائي ضروري ففي ضوئه يتفهم القارئ نفسيات الشخصيات ونمط سلوكها وطرق تفكيرها فهو" بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشيد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الشخصيات "(٣٧). وما يضيفه المكان من دلالات نفسية مختلفة ومشاعر وعواطف وانفعالات يظهر ذلك البعد في الرواية ، مثال على ذلك" تأمل الأب سالم بو طويل الوجوه الجامدة وهو يسند خده على راحة يده، ويبحث عن الدفء الذي يشع في القلوب حرارة أيام كانوا أسرة أبويه لم تكن عندهم دار ولا سيارة ولا تلفزيون"(٣٨)

٣.البعد الهندسي :

يأخذ المكان بعدا" هندسيا" عبر مظاهر المكان الهندسي ذي التقاسيم والأشكال والأحجام والفراغات في الرواية" فيدخل التوصيف الهندسي في لغة الوصف من خلال إسباغ الأبعاد الهندسية عليه، واستعمال المصطلحات المتداولة فيها"(٣٩)

ففي هذا البعد يركز الكاتب على كل المميزات والصفات الهندسية التي تأسس تلك الأمكنة مما يساعد على إضفاء امتدادات تجنح دائما" بالقارئ إلى تشكيل أبعاد هندسية لهذا المكان .

فنجد هذا البعد يظهر جليا" في الرواية حين يصف مدينة عين الرماد التي تجمعت الأوساخ والقذارة من كل جهة حين يقول:" تمتلئ مدينة عين الرماد بالحفر وبرك المياه القذرة بتوسطها سوق منهار السور تتلوى شوارعها وازقتها التي تضيق وتتسع في غير نظام إلى جانب من جنوبها تمتد مساحة كبيرة مستوية تلتصق بالمدينة"(٤٠)

٤.البعد الجمالي :

يتعلق هذا البعد بمختلف التقنيات التي يلجأ إليها الروائيون في بناء أمكنتهم فهي كثيرة وتشهد تناميا" متزايدا" ومن هذه التقنيات ما يشير له" صلاح صالح"" الوصف القصص، ملامح الشخصية، نزع الألفة، دمج الأساليب، اللغة الجميلة والتراكيب الشعرية الخاصة في تصوير المكان "(٤١)

فجمالية المكان تكمن في التجربة الإنسانية التي يحملها كأي إنسان من حين لآخر، ويجسدها المبدع في كتاباته في كل أبعادها وهذا ما يؤكده "ياسين النصير" فيقول :"المكان كيان اجتماعي آخر يحمل جزء من أخلاقيته وأفكار ووعي سائله"(٤٢)

ومثال على ذلك إذ يصف الكاتب مزرعة " حتى دخلا المزرعة وغطتها أشجار السرو الواقفة في صفين طويلين كجنود يشاركون في استعراض"(٤٣)

أنواع المكان :

أختلف النقاد والباحثون في تحديدهم لأنواع المكان في الرواية، كالاختلاف في مسميات هذه الأنواع واختلافهم في تحديد المنطلقات التي ينطلقون منها في تحديد أنواع المكان:

فقد حدد" مول روميز" أربعة من الأماكن حسب السلطة التي تخضع لها هذه الأماكن:

١.مكان أمارس فيه سلطتي"عندي"، ويكون بالنسبة لي مكانا" حسنا" وأليفا"

٢.مكان شبيه الأول في نواحي كثيرة لكنه يختلف عنه من حيث أنه أخضع فيه بالضرورة لوطأة سلطة الغير "عند الآخرين"، والاعتراف بهذه السلطة

٣.أماكن ليست ملك لأحد معين "عامة"، لكنها ملك للسلطة العامة النابعة من الجماعة الدولة، التي يمثلها الشرطي المتحكم فيها .

٤. المكان اللامتناهي :

ويكون هذا المكان بصفة عامة خالي من الناس فهو الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد، مثل الصحراء التي لا يمتلكها أحد، وتكون الدولة وسلطانها بعيدة بحيث لا تستطيع أن تمارس قهرها فيها لذلك تصبح أسطورة نائية وكثيرا "ما تفتقد هذه الأماكن إلى الطرق والمؤسسات الحضارية وإلى ممثلي السلطة فهذه الأماكن تقع بعيدة عن المناطق الآهلة بالسكان لذلك تكتسب دلالات خاصة [٤٤]

وقد استنبط" بروب" عبر دراسته لمجموعة من القصص الشعبية ثلاثة أطر مكانية :

١.المكان الأصيل : وهو عادة مسقط الرأس ومحل العائلة والأنس، ولكن الإساءة تحدث في هذا المكان فيترب عنها سافر الفعل بحثا" عن وسائل الإصلاح والإنجاز لذلك أطلق "غريماس" على هذا المصطلح مكان الأنس الجاف.
٢.المكان الذي يحدث فيه الاختبار التشريحي وهو مكان عرض وقتي وقد أطلق عليه "غريماس" مصطلح المكان التشريحي الجاف، أن هذا المكان يكون مجاور للمكان المركزي الذي يقع فيه الإنجاز
٣.اللامكان مبينا" بذلك أن الفعل المغير للذات والجوهر لا يمكن أن ينسجم في إطار مكاني معين ، وللإمكان هو نفي للمكان بوصفه معطا" ثابتا"[٤٥]
ويقسم" ياسين النصير" أنواع المكان إلى ثلاثة : مكان مفترض، مكان موضوعي، مكان ذي البعد الواحد [٤٦]
وقد استخلص" د. شجاع العاني" أربعة أنواع للمكان: المكان المسرحي، المكان التاريخي، المكان الأليف، المكان المعادي [٤٧]
ومن من هنا نستطيع أن ندرج مجموعة من المتقابلات المكانية كما قسمها إبراهيم جنداري" "على النحو الآتي :[٤٨]
١.فضاء العتبة/ الفضاء الواصل
٢.المكان الأليف/ المكان المعادي
٣.المكان الواقعي/ المكان المتخيل
٤.المكان التاريخي/ المكان الآني
٥.المكان الذاتي/ المكان الجماعي
٦.المكان المسرحي/ المكان الكوني
ـعلاقة الشخصية بالمكان :

لا يكتمل الحديث في النص الروائي إلا إذا أقترب بالحديث عن الشخصية التي تتحرك في إطاره كقوة فاعلة مؤثرة تصلح لشتى الأفعال في المسار السردي للرواية، لذلك فقد اولاه النقاد عناية خاصة فاهتم بمقومها وأنواعها وبكيفية رسمها وإخراجها للقارئ، فهي ليست معطى قلبيا" وكليا" تحتاج إلى بناء تقوم بإنجازه الذات المستهلكة للنص زمن فعل القراءة [٤٨]

فالشخصية تسهم في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وتؤكد على أهميتها كفواعل وصناع أحداث، وديناميكية الحياة وتفاعلها ،فالشخصية من المقومات الأساسية للرواية دون الشخصية لا وجود للرواية .

إن المكان أكثر التصاقا" بحياة الانسان، فوجود الانسان لا يتحقق إلا عبر علاقته بالمكان وعلى قدر إحساسه به يكون وعيه بذاته، بحيث يكون العمل الروائي" أن يكون بناءه منسجما" مع مزاج وطبائع شخصياتها وأن لا يتضمن أي مفارقة، وذلك أنه من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي يعيش فيه إذ يصبح بإمكان الفضاء الروائي أن يكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية بل وقد تساهم في التحولات التي تطرأ عليها [٤٩]

إذ يبدو المكان كأنه نسخة لسلوك وطباع الشخصية ويسهم في رسم معالمها، إذ نجد أن الكاتب يربط بعض شخصياته بأماكن معينة ليثبت لنا أن هذه الأماكن نسخة مطابقة لسلوك وطباع الشخصية ، ويصور الشخصية من داخلها وخارجها ويبرز علاقتها بالمكان الذي تكون فيه.

لذلك حرص الروائيون على اختيار المكان الملائم للشخصية من أبراز مختلف ملامحها، ما يؤكد ارتباط المكان الروائي بالشخصية طبيعة العلاقة بين الانسان ومحيطة، فقد أثبت الدراسات أن الانسان مرتبط كثيرا" بالمكان الذي يعيش فيه، لأن علاقة الانسان بالمكان علاقة جدلية تتشكل عبر عملية التأثير والتأثر بينهما، فالمكان له دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسط يأطر الأحداث ، أنه يتحول في هذه إلى محور حقيقي ويقتحم عالم السرد محررا" نفسه من اغلال الوصف .

-علاقة الوصف بالمكان :

يعد الوصف من الدعامات الأساسية التي تقوم بواسطتها المشاهد المكانية في الرواية لتعرض أمام القارئ، وهي أداة فاعلة في التعريف بالمكان واستقصاء جوهره وتجسيد عمقه الحضاري، وأصبح للوصف وظائف مختلفة تتحدد في كل رواية ولكن هناك وظائف عامة يمكن إيجازها :

١.وظيفة واقعية: تقدم عبرها الشخصيات والأشياء والمدار المكاني والزماني كمعطيات حقيقية للإيهام بواقعتيها.

٢.وظيفة معرفية: تقدم معلومات تأريخيه أو جغرافية أو علمية وغيرها مما يهد بتحويل النص إلى نص وثائقي أو تعليمي

٣.وظيفة سردية: تزود ذاكرة القارئ بالمعرفة اللازمة حول الأماكن والشخصيات

٤.وظيفة جمالية: تعبر عن موقع الكتب داخل نظام الجمالية الأدبية .

٥.وظيفة إيقاعية: تستعمل لخلق الإيقاع في الرواية.[٥٠]

يعمل الوصف على بناء الأمكنة أو إعادة بناءها بالكلمات، فجمالية الكتابة الوصفية للحيز كما يقول الناقد عبد الملك مرتاض، "تتمثل في الإيحاء والتكثيف دون الإطناب والتفصيل، كأنها تتكفل بقول نصف ما تريد قوله، وترك النصف الآخر للمتلقي، فيكتمل العمل وتتشكل الجمالية ويتم التظافر بين الكاتب والقارئ" [٥١]

فالكاتب حين عمد للوصف المكان وما يتوفر عليه من أشياء فهو يفتح امام القارئ آفاقا" لاستعادة أماكن خاصة تعودبه إلى ماضيه المختزن في الذاكرة.

ففي رواية الشماعية لعبد الستار ناصر، التي اخترتها لأبين بعض أنواع المكان في النص الروائي أو الرواية :

-المكان الواقعي / المكان المتخيل :

ففي رواية الشماعية هناك أماكن واقعية من ذلك قول:" أمين هاشم البيطار يصف الحال ان آلت إليه البلاد" صارت أعمدة الدخان تغطي العاصمة في الكرخ والرصافة، بل احترق نهر دجلة، الذي شحنت المياه فيه جراء النيران التي استعرت على ضفتيه وتبخر النهر العظيم وكدنا نرى القاع الذي احتوى على عشرات الجثث المكبلة بالسلاسل التي رموها من بوبات القصر الرئاسي منذ عشرات السنين، كنا نرى أسماك النهر في حالة هروب جماعي إلى الجنوب عساها تصل إلى القرنة وشط العرب قبل أن تموت بدورها في مقابر جماعية كالتي رأيناها على طول الصحراء في النجف والسماوة والناصرية وكربلاء" [٥٢]

ومنها قوله: " مضيت في طريقي إلى ساحة الطيران، لم أجد المرأة العجوز سألت عنها، ما من أحد هناك يعرف عنها أي شيء، لا أدري كيف عافني عقلي في تلك الساعة ورحت أصرخ بين الدكاكين وباعة السكاير وحفنة من السكارى"[٥٣]

ومنها" ها هم جميعا" على قيد الحياة أحفادهم في نعيم ليس من نعيم بعده، قصور في عمان ودمشق وبيروت والشارقة، يسرحون بملياراتهم ويشترون الضمائر كما فعل الجد المارق"[٥٤]

وذكر الراوي عدة أماكن واقعية منها قوله: "عادت صفية إلى مستشفى الشماعية ثانية، أخذتها صديقتها عفراء بنفسها هناك بعدان احترقت الشقة... ولم يزرها أحد في المستشفى ولم يعبأ بموتها أحد، دفنوها في مقبرة الكرخ في الجزء المخصص للمقودين والمشردين دونها شاهدة رخامية تشير إليها، كانت بغداد تئن من تراكم الجثث في الشوارع، والحال نفسه في النجف المقدس والفلوجة وسامراء"[٥٥]

ومنها: "ما يزال محمد جميل في عين الحلوة جنوب لبنان، ويعيش في المخيم الذي عاش فيه منذ الطفولة والصبا ولم يسافر إلى إي بلد عربي.. يكفيه الذكر الذي عاشه خلف أسلاك بغداد وأسوارها"[٥٦]

هكذا استخدم الروائي الأماكن الواقعية في روايته ولم يرد أي مكان خيالي في الرواية فكل الأماكن التي شهدت الأحداث موجودة في الواقع وتمثلت بمحافظات العراق ومناطق بغداد، فضلا" عن ذكر مناطق خارج العراق كعين الحلوة في لبنان وغيرها.

-المكان الأليف/ المكان المعادي :

حيث يمثل نهر دجلة المكان الأليف الذي يبعث على الراحة والاطمئنان في نفوس الشخصيات إذ يصف "أسعد سعيد فرحان" أحد شخصيات الرواية إذ يقول: "مشيت هادئا" خفيفا" إلى نهر دجلة، خف عني غضبي الجامح. اقتربت من النهر، رأيت يدي تنزف، من أين جاء هذا الدم الذي سال على ثيابي؟ يبدو أنني جرحت نفسي حين أخذت السيخ وغرزته في جسد التمثال، غسلت أصابعي في نهر دجلة وكم ادهشني حال النهر الأزلي، فقد أوشك أن يختفي بعد أن جفت تحت القصف والنيران، رميت نفسي عليه، رميت جسدي إليه، ولم أكف عن البكاء، حين ملئته ثانية وراح يجري من جديد"[٥٧]

ومنها قول أمين هاشم البيطار: الشخصية الرئيسية في الرواية "في اطلاتي على نهر دجلة شعرت بنفسي ترجع إلى أساسها وجذورها، طالت بي ساعات صحوي هذه المرة ربما تجاوزت وقت جنوني ثلاثة أضعاف، وهذا يعجبني ربما الشفاء القريب"(٥٨)

ومن ذلك قول أمين هاشم::أخذت الكتاب واعتذرت من اوراقة، قررت قطع أطول المسافات قرب النهر حتى افقد نفسي من احتقانها المخيف تمر الساعات بطيئة، لكن دون خوف، بعد أن تأكد لي رجوع خلايا عقلي إلى مكانها"(٥٩)

ويمثل المكان المعادي في الرواية لشخصيات مستشفى الشماعية، الذي ذاقت فيه أنواع العذاب، ولاقت أقسى ما لاقته، في حياتها إذ تنقل لنا كل شخصية ما عانته في هذا المكان يقول أمين هاشم: "أعوام طوال مرت ونحن في الشماعية نضحك على أنفسنا دونما سبب، قبعات الرؤوس أكبر ما ينبغي، والكهرباء تجري في أجسادنا تنهش في لحومنا بعد منتصف الليل، ما شأن الجنون بالسياسة؟ شيوعي مارق"(٦٠)

وتنقل لنا ما عانته صفية في المكان نفسه "لا أدري ماذا حل بعائلتي، عشر سنوات مرة ما من أحد جاء يزورني هناك أو يسأل عما جرى لتلك البنت التي رموها مثل الكلبة جرباء دون ذنب سوى أنها أحبت أبن الجيران، شمعة مطفأة لا يلتف إليها حتى الخنازير، رأيت في أجنحة الشماعية ما تقشعر له الضمائر والنفوس"(٦١)

وينقل لنا معاناة أسعد سعيد: "ها أنا منذ تسعة أعوام مثل كيس الحنطة، ينقلونه من معتقل إلى غرفة انفرادية تحت الأرض إلى مستشفى الشماعية، إلى مكان لا أعرف أين يكون داخل خارطة بغداد الجوانية، شبعت من ضرب البساطيل"(٦٢)

وللمكان دور مهم وكبير في النص الروائي، فهو يلقى بجمالياته المنبثقة عبر النص السردي والتي لها أثرها في المتلقي .

-نتائج البحث :

١.يمنح فضاء المكان قدرا" معرفيا" للمتلقي في فهم تحليلات الامكنة في داخل الرواية.

٢.تنشأ العلاقة بين المتلقي والنص من خلال المكان والذي يمهد لنمو التجربة الروائية والولوج إلى عمقها.

٣.تتبلور مفاهيم المكان الفنية في الرواية، بفعل العلاقة الجدلية التي تربطه بباقي المكونات.

٤.يمتاز المكان بفنيته الكبرى في الاعمال الروائية، نظرا" لاستناده على الواقع والخيال، فظاهرة المكان متميزة في علاقاتها وتصوراتها.

٥.يعتبر المكان هو جوهر النص، كلما احسن الكاتب توظيفه في الرواية، كلما ترسخت قيمته وحددت مواقفه.

٦. تبرز حركة المكان من خلال احتوائه للفضاء لأنه المكان البؤري الذي تتجمع فيه مكونات النص.

-الهوامش :

١.بناء الرواية دراسة مقارنة، ٧٤

٢.تحليل النص السردي، ٩٩

٣.شعرية الفضاء السردي، ٦١

٤.جماليات المكان في قصص سيد حورانية، ٩٢

٥.المصدر نفسه، ٩٣

٦.جماليات المكان في الرواية العربية، ٢٧٦

٧.المكان دراسة في القصة والرواية، ٧

٨.البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ٢٤٠

٩.بنية الشكل الروائي، ٣٣

١٠.المصدر نفسه، ٢٩

١١.جماليات المكان في النقد العربي المعاصر، ١٢٣

١٢.بناء الرواية، مصدر سابق، ٧٦

١٣.المصدر نفسه، ٧٧

١٤.جماليات المكان قراءة في ذاكرة الجسد،١٨٧

١٥،المصدر نفسه، ١٨٨

١٦.في نظرية الرواية، ٣٨٦

١٧.المصدر نفسه، ٣٨٨

١٨.الرواية والمكان، ١٢٦

١٩.بنية الشكل الروائي، ٥٩

٢٠.المصدر نفسه، ٤٣

٢١.بناء الرواية، مصدر سابق، ٨٣

٢٢.جماليات المكان في الرواية العربية، ١٣

٢٣.تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم: ١٠٥

٢٤.بنية الشكل الروائي، مصدر سابق، ٤٠

٢٥.جماليات المكان في الخطاب الروائي، ٩٥

٢٦.الرماد الذي غسل الماء، ٩٥

٢٧.امكان في الرواية العربية، ٢٢٠

٢٨.جماليات المكان في الخطاب الروائي، ٩١

٢٩.الرماد الذي غسل الماء، مصدر سابق، ٢٣٤

٣٠.جماليات الخطاب في السرد الروائي، ٩٧

٣١.الفن الروائي عند غادة السمان، ٤٩

٣٢.الرماد الذي غسا الماء، ٨٥

٣٣.جماليات السرد في الخطاب الروائي، مصدر سابق، ٩٨

٣٤.جماليات المكان في الرواية العربية، ١٣

٣٥.الرماد الذي غسل الماء، مصدر سابق، ٢١٥

٣٦.قضايا المكان الروائي في الادب المعاصر، ٥٧

٣٧.بحوث في الرواية الجديدة، ٦١

٣٨.نحو رواية جديدة، ١٢٧

٣٩.الرماد الذي غسل الماء، مصدر سابق، ١٢٨

٤٠.شعرية المكان في الرواية الجديدة. ٣٣٦

٤١.السرد الروائي في اعمال إبراهيم نصر الله، ٢٧٧

٤٢.الرماد الذي غسل الماء، مصدر سابق، ٣٩

٤٣.بنية السرد، ٤٧

٤٤.الرماد الذي غسل الماء، مصدر سابق، ١١

٤٥.قضايا المكان الروائي، ٢٤

٤٦.بنية الخطاب الروائي، ١٩١

٤٧.الرماد الذي غسل الماء، مصدر سابق، ٩٥

٤٨.بين باشلار والنصير، ٢

٤٩.مشكلة المكان الفني، ٨١

٥٠.مدخل إلى نظرية القصة، ٥٨

٥١الرواية والمكان، ٣٠

٥٢.الفضاء الروائي، ٩٩

٥٣.سيمولوجية الشخصية الروائية، ٩

٥٤.بنية النص السردي، ٣٠

٥٥.صورة المكان، ٢٠٨

٥٦.في نظرية الرواية، ١٥٠

٥٧.رواية الشماعية، ٨٤

٥٨.المصدر نفسه، ٨٧

٥٩.المصدر نفسه، ٣٩

٦٠.المصر نفسه، ١٥٨

٦١.المصدر نفسه، ١٧٤

-المصادر والمراجع :

١. بحوث في الرواية الجديدة، ميشال بيتور، ترجمة فريد انطونيس، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م

٢. بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م

٣. بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب كيلاني، حبيله الشريف، عالم الكتب الحديثة، اربد، ط١، بدون سنة

٤. بنية الشكل الروائي ، حسن بحراي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م

٥. البنية السردية في الرواية دراسة في ثلاثية خيري شلبي، زكريا عبد المنعم، الراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٩م

٦. البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م

٧. بين باشلار والنصير، حنين علاوي، مقال جريدة الصباح، ع٣١٥، ٢٠١٠م

٨. بنية النص السردي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م

٩. تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، محمد بو عزة، دار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠م

١٠. جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط٦، ٢٠٠٦م

١١. جماليات المكان في الخطاب الروائي، غسان كنفاني، صبيحة عودة، دار مجدلاوي للنشر، عمان،ط١، ٢٠٠٦م

١٢. جماليات المكان قراءة في ذاكرة الجسد، ابن السائح الأخضر، مخبر اللغة العربية وآدابها، بدون سنة

١٣. جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط١، ١٩٩٤م

١٤. جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، محمد محمدي، دراسات في الادب العربي، منشورات الهيئة السورية، دمشق، ط١، ٢٠١١م

١٥. جماليات المكان في النقد العربي المعاصر، عبدالله أبو هيف، مجلة جامعة تشرين للدراسات، مج٢١، ع١، ٢٠٠٥م

١٦. رواية الشماعية، عبد الستار ناصر، دار المدى، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م

١٧. الرماد الذي غسل الماء، عز الدين جلاوي، دار الروائع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٤، ٢٠٠٤م

١٨. الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٠م

١٩. السرد الروائي في اعمال إبراهيم نصرالله، هيام شعبان، دار الكندي، اربد، ط٤. ٢٠٠٠م

٢٠. سيمولوجية الشخصية الروائية، هافون فيليب، ترجمة سعيد بن كراد، دار الكلام، المغرب، ط١، ١٩٩٠م

٢١. شعرية القصص السردي، حسن شمخي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م

٢٢. شعرية المكان في الرواية الجديدة، حسين خالد، مؤسسة اليمان، الرياض، ١٤٢١ه

٢٣. صورة المكان ودلالاته في روايات وسني الاعرج، هنية جواري، أطروحة دكتوراه، يسكرة، ٢٠١٢م

٢٤. الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم، إبراهيم جنداري، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، ١٩٩٠م

٢٥. الفن الروائي عند غادة السمان، عبد العزيز شبل، دار المعارف، تونس، ط١، ١٩٨٧م
٢٦. في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، دار العربي للنشر والتوزيع، وهران، ٢٠٠٥م
٢٧. قضايا المكان في الادب المعاصر، صلاح صالح، دار الشرقيات للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م
٢٨. مدخل الى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، سمير المرزوقي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م
٢٩. مشكلة المكان الفني: يوري لوتمان، ترجمة سيزا قاسم، مجلة الف، ع٦٤، ١٩٨٦م
٣٠. المكان دراسة في القصة والرواية، محمد جبريل، الهيئة العامة لشؤون المطابع، مصر، ط٢، ٢٠٠٠م
٣١. المكان في رواية العربي والرواية واقع وافاق، غالب هلسا، ابن رشد، بيروت، ط١، ١٩٨١م
٣٢. نحو رواية جديدة، ألان روب غربية، ترجمة مصطفى إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م